الخطاب القصدي وآلياته التواصلية في أسلوب العطف
(نموذج الإمتاع والمؤانسة)

د.حسين أحمد حسين كتانة

الملخص

يحاول هذا البحث أن ينطلق من ظاهرة بلاغية لغوية تتصل بالخطاب القصدي في أسلوب العطف، لتسهم في معالجة نظرية وتطبيقية لموضوع المناسبات المختلفة التي يتواصل بها المتكلم العربي. وقد اخترنا لهذه المناسبات موضوع الإمتاع والمؤانسة؛ لكونه يحمل من الدلالات ما يجعله قصديا في تعبيره عن الأغراض اللغوية والبلاغية التي يحتاج إليها في المجال التخاطبي .

فأغراض العطف حين ينظر إلى طريقة استعمالها في اللغة، يتضح أنها تؤسس خطابا قصديا معرفيا، بواسطة الوضعية التواصلية لخطابه، والطبيعة المتميزة لحروفه التي تفيد المعاني النسقية في ربط الكلام وترتيبه. فالكاتب والأديب المستعمل لمعاني العطف في خطابه أو أسلوبه، يعتمد تعلق المعاني؛ وهو توقف جزء من الكلام على جزء آخر يتمم فائدته بواسطة مجموعة من المعاني التي تؤديها الحروف حسب المواضيع التواصلية المناسبة؛ كالاستثناء، والشرط، والصفة، والعطف، والبدل...

وقد بنينا تصورنا لهذا الموضوع على معطيات التصور والاستعمال في خطاب القصد، الذي يرتبط ببعدين أساسيين: بعد عقلي، والآخر تأثري. فالبعد العقلي يتجلى في التصور الذي ينفذ البلاغي من خلاله إلى الجامع العقلي في الاشتراك في المخبر عنه، أو في الخبر، أو في قيد من قيودهما، أو تماثل بينهما. ثم البعد التأثري، الذي اسهمت فيه المرجعيتان؛ النحوية والمنطقية في تمييز القصد من الخطاب المحمول بواسطة روابط العطف.

وقد استفاد عدد من البلاغيين من موضوع القصد في خطاب العطف، لكونه يمثل موضوعا خصبا للمحاججة والجدل في المعاني التي يحملها، كما هو الشأن عند أبي حيان التوحيدي في "الإمتاع والمؤانسة" أو أبي هلال العسكري في كتابه "ديوان المعاني"، حيث نجد في أمثال هذه المصنفات، أن عطف المعاني لها قوة استدلالية تحتاج في فهمها إلى استنباط، وتعليل، وبيان للحدود، ومقاصد للأغراض. لذلك استعانوا بالخطاب القصدي لعطف المعاني في عدد من الأغراض؛ كالإقناع والإفادة، كما استعملوه في عدد من القضايا منها: بيان الحد أو المفهوم، التعاريف المتفرعة عن الدلالات المتقابلة للأنواع والأجناس المتقاربة، ثم اتخاذه قصدا

استدلاليا، يعتمد على طلب الشاهد في ضبط المعاني. كلها مواضيع مهمة جديرة بالتحليل والنظر في إطار الدرس البلاغي واللغوي، كما ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجال التداولي في الدرس اللساني المعاصر.

International Address and its Communicative Mechanisms in the Coordination style (as an Exemple of Entertain ment and companion ship)

Hossein Ahmed Hossein

Abstract

This topic sets out from The Rhetorical and linguistic phenomenon of intentional address in the coordination style to contribute in the theoretical and practical treatment of the various situations wherein people communicate among themselves. We have picked up in this respect the subject of entertainment and socializing in that it carries so much connotations as to make it (purposeful) قصديا in its manifestation of the linguistic and rhetorical conventions it uses in communication.

The purpose of the coordination style as it shows from its linguistic applications is to found an informative (purposeful) قصديا message by means of its underlying communicative situations and its distinctive connectors which conveys layouts of senses in the ways they link and organize discourse. The writer who utilizes the style of coordination relies on the inter dependence of meanings namely that one part of speech is strung onto another that completes its sense by dint of connotations led through connectors according to thematically appropriate subjects: كالاستثناء، والشرط، والصفة، والعطف، والبدل

We have built our perception of this issue on data from the usages and visualization of خطاب القصد which is linked to two dimensions: mental dimension and affective one. The mental aspect is obvious in the way which help the rhetoricians get access to the mental whole, في الاشتراك في المخبر عنه، أو في الخبر، أو في قيد من قيودهما، أو تماثل بينهما

The affective aspect grammar and logic contribute in through distinguishing القصد from the message by means of connectors of coordination .

A number of rhetoricians have profited from the subject of القصد in the style of coordination since it makes a fruitful subject for semantic argumentation and debate as أبي حيان التوحيدي

Illustrates in "الإمتاع والمؤانسة

and أبو هلال العسكري

In his book "ديوان المعاني

In these books we find out that the semantic coordination has the force of reasoning whose perception requires explanation ,deduction and awareness of limits and end purposes. Rhetoricians have made use of بالخطاب القصدي

to coordinate meanings for different purposes like convictions and statements. They have used it also in cases like : بيان الحد أو المفهوم، التعاريف المتفرعة عن الدلالات المتقابلة للأنواع والأجناس المتقاربة، ثم اتخاذه قصدا استدلاليا، يعتمد على طلب الشاهد في ضبط المعاني

All these are important topics to deal with and analyse linguistically and rhetorically. They are also closely linked with the modern linguistic use

المقدمة:

يرجع الخطاب القصدي في اللغة، إلى طبيعة المناسبات المختلفة التي يتواصل بها المتكلم العربي، في شكل استلزام تخاطبي حسب تعبير بول غـــرايس Paul Grice. وهذا النوع من الخطاب يحمل من الدلالات ما يجعله قصدياً في تعبيره عن الأغراض اللغوية والبلاغية التي نحتاج إليها في المجال التخاطبي . وقد أشار السكاكي إلى هذا الغرض في أسلوب العطف بقوله:"..إن العطف في باب البلاغة يعتمد أصولا ثلاثة: أحدها: الموضع الصالح له حيث الوضع، وثانيها: فائدتـــه، وثالثها: وجه كونه مقبولاً لامردوداً. وأنت إذا أتقنت معاني الفاء، وثـــم، وبـــل، وحتى، ولا، ولكن، وأو، وأم، وأما، وأي على قولي، حصلت لك الثلاثة، لدلالة كل منها على معنى محصل، مستدع من الجمل، بينا مخصوصًا مشتملاً على فائدته، وكونه مقبولا هناك"[1].

وقد أشار اللغويون إلى غرض القصد في أسلوب العطف،انطلاقا من تعريفهم له بأنه البيان، والنسق، وهم يقصدون بدلالة هذا المصطلح؛ موضوع الغرض الذي يعني الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه[2]. ثم ربطوه بآلياته التواصلية، التي تعبر عن قصد المتكلم، فقالوا هو:"أن تقيـــم الأسماء الصريحة غير المأخوذة من الفعل مقام الأوصاف المأخوذة من الفعل"[3]. ثم فصلوا الكلام في هذه الأغـــراض التي منها البيان والكناية والمجاز فقالوا: "هو اسم غير صفة يكشف عن المـــراد كشفها، وينزل من المتبوع منزلة الكلمة المستعملة من الغريبة إذا ترجمت بهـــا. وذلك نحو قوله:

أقسمَ باللهِ أبو حَفصٍ عمر ما مسَّها من نَقب ولا دَبَر

أراد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث أجراه مجرى الترجمة وذلـــك بكشفه عن الكنية لقيامه بالشهرة دونها[4].

فأغراض العطف حين ينظر إلى طريقة استعمالها في اللغة، يتضح أنها تؤسس خطابا قصديا معرفيا، بواسطة الوضعية التواصلية لخطابه، والطبيعة المتميـــزة لحروفه التي تفيد المعاني النسقية في ربط الكلام وترتيبه. وهنـــا نجـــد الكاتـــب والأديب المستعمل لمعاني العطف في خطابه أو أسلوبه، يعتمد تعلق المعاني؛ وهو توقف جزء من الكلام على جزء آخر يتمم فائدته بواسطة مجموعة من المعـــاني التي تؤديها الحروف حسب المواضيع التواصلية المناسبة؛ كالاستثناء، والشرط، والصفة، والعطف، والبدل... فيكون إرجاع الكلام إلى الكلام، أو إخراجه منـــه، موطنا لرصد عدد من الاصطلاحات المتصلة بظواهر التعلق المعنوي في البلاغة العربية.

فقد أسهم موضوع الخطاب القصدي للعطف في التأثير التواصلي كما عبر عن ذلك التوحيدي بقوله: "ولا تعشق اللفظ دون المعنى، ولا تهو المعنى دون اللفظ"[5]، "فاللفظ طبيعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان، لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة"[6]. وهي إشارة إلى التعبير المنهجي التواصلي وأهمية المعنى في تركيب الألفاظ، وصياغة المباني حسب الأوجه والمناسبات اللغوية الخاصة قصد تأسيس خطاب القصد.

فاختيارنا لموضوع الخطاب القصدي في العطف انطلاقاً من موضوع الإمتاع والمؤانسة لدى أبي حيان التوحيدي، ينطلق من أبعاد تصورية للتعلق المعنوي في أسلوب العطف، الذي يعبر عن نظرية بلاغية تداولية في الفكر اللغوي العربي.

أولاً: معاني العطف بين التصور والاستعمال:

يرتبط التصور في الخطاب القصدي للعطف ببعدين أساسيين : بعد عقلي، والآخر تأثري. فالبعد العقلي يتجلى في التصور الذي ينفذ البلاغي من خلاله إلى الجامع العقلي في الاشتراك في المخبر عنه، أو في الخبر، أو في قيد من قيودهما، أو تماثل بينهما. ولذلك ينقل عن العقل في بناء المعاني واختيارها : "والعقل يتدرج من الجزئيات المركبة إلى الوسائط الكلية، والإحاطة بالمعاني البسيطة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني المركبة، ليتوصل بتوسطها إلى استثباتها، والإحاطة بالمعاني المركبة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني البسيطة ليتوصل بتوسطها إلى تحقيق إثباتها"[7]. ولا يبتعد هذا التصور للعقل في بناء المركبات التي يدخل في مواضيعها معاني العطف، ما أشار إليه السكاكي بدور الجامع العقلي في العطف، وذلك في قوله: " والجامع العقلي هو أن يكون بينهما اتحاد في التصور..فإن العقل بتجريده المثلين عن التشخص في الخارج، يرفع التعدد عن البين، أو تضايف كالذي بين العلة والمعلول، والسبب والمسبب، أو السفل والعلو، والأقل والأكثر، فالعقل يأبى ألاّ يجتمعا في الذهن، وأن العقل سلطان مطاع"[8].

أما البعد التأثري، فقد أسهمت فيه كلا المرجعيتين: النحوية والمنطقية؛ التي نلمس تجلياتها النظرية في النص التأسيسي الذي عرضته المناظرة التي جرت بين السيرافي، ومتَّى بن يونس المنطقي في مجلس ابن الفرات وهي تشير إلى مدلول الخطاب القصدي للعطف؛ حيث جاء في محاور جدلها قصدية المعنى في أسلوب العطف، قال ابن الفرات:

"أيها الشيخ الموفق أجب بالبيان عن مواقع "الواو" حتى تكون أشد في إفحامه، وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه، ومع هذا فهو مشنع به. فقال أبوسعيد: للواو وجوه ومواقع: منها معنى العطف في قولك: "أكرمت زيدا وعمرا"، ومنها القسم في

قولك: "والله لقد كان كذا وكذا"، ومنها الاستئناف في قولك: "خرجت وزيد قائم" لأن الكلام بعده ابتداء وخبر، ...ومنها أن تكون أصيلة في الاسم، كقولك: واصل ، واقد، وافد، وفي الفعل كذلك، كقولك: وجل يوجل، ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله عز وجل:﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ...﴾ ومنها؛ أن تكون بمعنى حرف الجر، كقولك: استوى الماء والخشبة أي مع الخشبة."[9] فكان بيان هذه الأغراض للعطف عند السيرافي من باب التمكن من فهم معاني اللغة، والدراية بمعاني حروفها التي قال عنها :"ومن جهل حرفا أمكن أن يجهل حروفا، ومن جهل حروفا جاز أن يجهل اللغة بكاملها"[10].

حينما عرض التوحيدي هذه المناظرة بكاملها، والتي انتهت بقول متيَّ: "لو نثرت أنا – أيضًا – عليك من مسائل المنطق أشياء لكان حالك كحالي"[11]. أشار إلى الخطاب القصدي في موضوع العطف الذي يمثل في نظره المعاني والألفاظ وارتباطها بالقضايا اللغوية والمنطقية. فقد رأى بعد إبداء التمعن، أن المناظرة تحتاج إلى جانب ثالث في خطابها القصدي يهم بلاغة المعاني، والأشباه المقربّة. ولهذا نجد التوحيدي يجعل لنفسه موضعا في هذه المناظرة ويميز لنفسه فنًّا مضافا، فيقول عن نفسه:"وهذا الناشيء أبو العباس قد نقض عليكم وتتبع طريقتكم، وبين خطأكم، وأبرز ضعفكم، ولم تقدروا إلى اليوم أن تردوا عليه كلمة واحدة مما قال، ...فأما إذا حاولتَ فرش المعنى، وبسط المراد فاجْلُ اللفظ بالروادف الموضحة، والأشباه المقرِّبة، والاستعارات الممتعة، وبيِّن المعاني بالبلاغة، أعني لوِّح منها لشيء حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها، لأن المطلوب إذا ظفر به على هذا الوجه عزَّ وحلا، وكرُم وعلا؛ واشرح منها شيئا حتى لايمكن أن يُمترى فيه أو يُتعَبَ في فهمه أو يُعَرَّجَ عنه لاغتماضه؛ فهذا المذهب يكون جامعا لحقائق الأشباه ولأشباه الحقائق؛ وهذا باب إن استقصيته خرج من نمط ما نحن عليه في هذا المجلس؛ على أني لا أدري أيؤثِّر فيك ما أقول أوْ لا؟"[12].

يدرك المتأمل في هذا النص، أن التوحيدي تأثر بموضوع القصد في خطاب العطف، الذي رأى فيه موضوعا خصبا للمحاججة والجدل في المعاني التي يحملها، فأراد أن يجعل منه مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة كما هو الشأن عند معاصره أبي هلال العسكري (ت.395هـ) في كتابه "ديوان المعاني"، الذي يرى أن عطف المعاني لها قوة استدلالية تحتاج في فهمها إلى استنباط، وتعليل، وبيان للحدود، ومقاصد للأغراض. وفي هذا الإطار، نجد كتاب الإمتاع والمؤانسة يستند في سياقه المستعمل على نماذج من عطف المعاني قلما ينتبه إليها في المناسبات التي يحتاج فيها إلى دقة المعاني وضبط في البيان.

ثانيا: الخطاب القصدي ومعاني العطف:

استعان البلاغيون بالخطاب القصدي لعطف المعاني في عدة مناسبات قصد الإقناع والإفادة، فاستعملوه في عدد من القضايا منها:

1- بيان الحد أو المفهوم بطريقة بليغة وصياغة لغوية محبوكة تعتمد المعنى في عطف أجزاء الكلام قبل تركيبه. ويظهر هذا الجانب في موضوع الإمتاع والمؤانسة عند التوحيدي، في عدد من التعريفات التي وعاها وحفظها من أستاذه (أبي حامد المروروذي) ثم جاءت مسبوكة بانسجام في مسامراته كأن يقول:"الدليل ما سلكك إلى المطلوب، والحجة ما وثقك من نفسه، والبرهان ما أحدث اليقين، والبيان ما انكشف به المتلبس، والقياس ما أعارك شبهه من غيره في نفسه، والعلة ما اقتضى أبدا حكمها باللزوم، والحكم ما أوجب بالعلة"[13] .

يروم التوحيدي في تحديداته العطفية الوقوف على الحقيقة بجميع أجزائها ، خصوصاً؛"وأن الحقيقة إذا عرفت بجميع أجزائها، سمي حدا تاما، وهو أتم التعريفات. وإذا عرفت ببعض أجزائها سمي حدا ناقصا، وإذا عرفت بلوازمها سمي رسما ناقصا، وإذا عرفت بما يتركب من أجزاء ولوازم سمي رسما تاما"[14]. ومن أمثلة ما أورده في هذا المجال؛ تحديده أنواع البلاغة بقوله: "فأما بلاغة الشعر فأن يكون نحوه مقبولا، والمعنى من كل شيء مكشوفا، واللفظ من الغريب بريئا، والكناية لطيفة، والتصريح احتجاجا، والمؤاخاة موجودة، والمواءمة ظاهرة."[15] وهو تحديد تظهر فيه الخصوصيات التامة لمعاني العطف التي تعتمد على الجمع بين المفاهيم المتواردة والسياقات المناسبة. وقد ذكر منها في هذا التعريف: (النحو، والمعنى، واللفظ، والكناية، والتصريح، والمواءمة). وفي الأطراف المتتالية من المعاني المضمَّنة في أجزاء العطف، نلحظ أحوالا تمييزية للمعطوفات تكاد تؤلف فضاء اصطلاحيا متدرجا في الوضوح من أجل ضبط البيان، وهي: (القبول، والكشف، والبراءة، واللطافة، والاحتجاج، والوجود، والظهور). وهذا النمط من الترتيب في إدراج معاني العطف في التحديدات والتعريفات يميز به التوحيدي في خطاب القصد بين أمرين:

أ -التعاريف المتفرعة عن الدلالات المتقابلة للأنواع والأجناس المتقاربة.

ويظهر ذلك في المثال السابق من خلال تمييزه بين حدود ومفاهيم الأجناس البلاغية الأخرى التي ميَّز مفاهيمها بواسطة معاني العطف فذكر:بلاغة الخطابة، وبلاغة النثر، وبلاغة المثل، وبلاغة العقل، وبلاغة البديهة، وبلاغة التأويل، وهي تقسيمات تُظهر ضوابط البيان عند التوحيدي في رسمه لحدود ومفاهيم الأسامي معتمدا في عطف معانيها خاصية من خصائص البحث الأسلوبي وهي "الاختيار"

و"الانتقاء" أو ماعبر عنه أبوهلال العسكري بـــ"حسن الرصف وإضافة اللفق"؛ وهو اعتماد يتجه فيه هَم المحدِّد أو المصطلِح في القضية المثارة إلى البحـــث عـــن الدلالات المتعلقة بأسباب اختيار جملة بدلا من جملة أخرى، وتفضيل تركيب على آخر، حتى وكأن القارئ ليجد كلاما يشتبه أوله بآخره وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها ومقرونة بلفقها[16]. فالملامح المميزة لعطف المعاني لمفهوم البلاغة تظهر عند التوحيدي في إدراك المعاني المحددة لأقسامها، مع تتبع سائر الأوجه الذهنية المحتملة للمعنى، التي تعطي اللفظ قوامه في إطار التحديد والتعريف. ونلمـــس تطبيقات الملامح المميزة لمفهوم البلاغة في التحديدات الآتية:

- **بلاغة الخطابة:** أن يكون اللفظ قريبًا، والإشارة فيها غالبة، والســـجع عليهـــا مستوليا، والوهم في أضعافها سابحا، وتكون فقرها قصارا، ويكون ركابهـــا شوارد إبل.
- **بلاغة النثر:** أن يكون اللفظ متناولا، والمعنى مشهورا، والتهذيب مســـتعملا، والتأليف سهلا، والمراد سليما، والرونق عاليا، والحواشي رقيقة، والصفائح مصقولة، والأمثلة خفيفة المآخذ، والهوادي منَّصلة، والأعجاز مفصَّلة.
- **بلاغة المثل:** أن يكون اللفظ مقتضبا، والحذف محتملا، والصورة محفوظـــة، والمرمى لطيفا، والتلويح كافيا، والإشارة مغنية، والعبارة سائرة.
- **بلاغة العقل:** فأن يكون نصيب المفهوم من الكلام أسبق إلى النفس من مسموعه إلى الأذن، وتكون الفائدة من طريق المعنى أبلغ من ترصيع اللفظ، وتقفيـــة الحروف، وتكون البساطة فيه أغلب من التركيب، ويكون المقصود ملحوظا في عرض السنن، والمرمى يتلقى بالوهم لحسن الترتيب.
- **بلاغة البديهة:** فأن يكون انحياش اللفظ للفظ في وزن انحياش المعنى للمعنى، وهناك يقع التعجب للسامع، لانه يهجم بفهمه على ما لا يظن أنه ظفر به كمن يعتر بمأموله، على غفلة من تأميله، والبديهة قدرة روحانية، في جبلة بشرية، كما أن الرّضوية صورة بشرية، في جبلة روحانية.
- **بلاغة التأويل:** وهي التي تأولها العلماء بالاستنباط من كلام الله – عز وجل– وكلام رسوله (ﷺ)...وهاهنا تنثال الفوائد، وتكثر العجائب، وتتلاقح الخواطر، وتتلاحق الهمم، ومن أجلها يستعان بقُوى البلاغات المتقدمة بالصفات الممثَّلة، حتى تكون معينة ورافدة في إثارة المعنى المدفون، وإنارة المراد المخزون[17].

وقد اعتبر التوحيدي ضمنيا هذه الملامح المميزة لمعاني العطف في تحديـــده لضروب البلاغة في الخطاب القصدي من قبيل النسج الأسلوبي، الذي لم يسبق إليه في التصور العقلي في رسم المعاني وتشكلها، ولهذا نجده يعالج بالطريقة نفسها،

عددا من التحديدات، كمفهوم "السكينة" التي نقل فيها مجموعة من المعاني العطفية التي ميزت بين أنواعها؛ كالسكينة الطبيعية، والنفسية، والعقلية، والإلهية[18]. وتمييزه بين الشريعة وضروب الفلسفة[19]، وبين النفس وأنواع الأرواح.

ب- اتخاذه من خطاب العطف قصدا استدلاليا:

وذلك لاعتماده على طلب الشاهد في ضبط المعاني. فموضوع معاني العطف يرتبط لغويا بمعاني حروفه(خصوصا حرف الواو) الذي يتميز بثراء استدلالي في استعماله والتداخل بين مستوياته، لذلك فإنه حقق في موضوع الإمتاع والمؤانسة سمة إيجابية للفعل الاستدلالي الحجاجي، الذي بواسطته تم التأثير على المستمع، وإقناعه في الأدوار الخطابية بما يدل عليه في الحجة من معنى مخصوص، كالاشتراك أو مطلق الجمع بين التركيبين. فيتعامل الخطاب القصدي للعطف مع المعنى في هذه الحروف على أنه استثمار لعلاقات متعددة تضم الملفوظ (Enoncé) مع ربطه بظروف المقال، وما يستتبع ذلك من تحديد لمجموعة من القرائن المعنوية المحددة لطبيعة الخطاب، أي الاهتمام بالمجال التداولي، وكذلك بموضوع الدلالة (Signification) الذي يرتبط بالجمل من حيث دراستها بلاغيا لتحديد صدقها وكذبها. ولا يخفى في هذا المجال، دور الجانب التداولي الذي يسعى إلى تحليل هذه الجمل، وعدم اختزال وصف قيمتها الإخبارية في وصفها الدلالي فقط، وإنما ليبرهن على الطريقة التي ستسهم فيها قرائن العلاقات بإعطاء اتجاه تداولي للجملة، وأيضا لفرض نتيجة على المخاطب عن طريق التحاور المتبادل في الكلام. فنجد صفة القصدية الموجهة للكلام تتحقق عندما يستهدف المتكلم النتيجة التي يسعى للتأثير على مخاطبه بغرضها الذي أنجزه عن طريق التأويل، والقياس والنظر. ففي هذا المجال، تتدخل روابط الاستدلال الحجاجي التي تعتبر حروف المعاني نموذجا لها، لأن: "دورها الوظيفي هو توجيه الجمل الاستدلالية الحجاجية، وأيضاً إدخال المبادئ العامة التي تجعل الحجاج ممكنا"[20].

وفي هذا السياق نجد الآلة الاستدلالية في الإمتاع والمؤانسة في موضوع العطف، تطلب الشاهد المنقول والمعقول الذي يفيد الحرف فيه معنى الاشتراك أوالقِران، وذلك في مواضيع متنوعة وفي سياقات لغوية مختلفة. ومما خصصه التوحيدي لهذه المناسبة، استشهاده بالعطف في الأحاديث النبوية والآثار من أقوال الصحابة، واعتبر ذلك وسيلة تأثيرية في حديث النساك ودرجة من درجات الإقناع، يقول:".. فقال :اجمع لي جزءا من رقائق العُبَّاد وكلامهم اللطيف الحلو، فإن مراميهم شريفة، وسرائرهم خالصة، ومواعظهم رادعة، وذاك-أظن- للدين الغالب عليهم، والتألُّه المؤثر فيهم؛ فالصدق مقرون بمنطقهم، والحق موصول بصدقهم، ولست أجد هذا المعنى في كلام الفلاسفة، وذاك -أظن أيضاً- لخوضهم في حديث

الطبائع والأفلاك والآثار وأحداث الزمان. قلت أفعل، فكتبت تمام ماتقدم به، ثم كتبت بعدُ ورقات في حديث النساك"[21].

ففي الاستدلال بخطاب العطف فيما وصفه التوحيدي بحديث النساك، استعماله لمعنى الواو العاطفة يقترن بالمناسبات التي يقتضيها الخطاب، وتبعث على المؤانسة في إفادتها المعنى المطلوب، والتأثير المقصود. ومن وروائع العطف عنده في هذا المجال، استشهاده بأحاديث نبوية يرتبط فيها العطف بالاستثناء، وهو غرض من أغراض عطف المعاني التي يقصد من استعمالها تخصيص الظاهرة وتقريب صورتها من المستمع حتى تكون أكثر إمتاعا ومؤانسة. لذلك نجده أكثر توفيقا في استدرافه عيني الوزير ابن الفارض باستعماله منطق الاستدلال حينما أورد حديثا يقترن فيه العطف بالاستثناء، ثم أعقبه بآخر يعتمد مقدمتين ونتيجة، فجاءت صورته الاستدلالية مكتملة في نقل المعاني المعطوفة التي كانت أقرب صورة وأبلغ تأثيرا. يقول عن الحديث الأول: قال النبي (ﷺ): "لا يزداد الأمر إلا صعوبة، ولا الناس إلا اتباع هوى، حتى تقوم الساعة على شرار الخلق". ثم أعقبه بحديث استدلالي آخر : "بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء من أمتي". فالنتيجة التي يسعى إليها التوحيدي في مؤانسته من خلال المعاني المعطوفة في الحديثين السابقين، هو بيان النتيجة التي قصدها الحديث وهي صفة المغترب أو الغريب التي يريد أن يؤنس بها.

وقد احتاج في بيان القصد من الخطاب، إسبال مزيد من المعاني المعطوفة، التي توضح صفته وتقرب صورته. ولذلك وضعه في صورة سؤال جدلي سأل التوحيدي من خلاله (ابن الجلاء الزاهد) بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، بقوله: "ماصفة هذا الغريب؟ فأجاب في منتهى الإمتاع بقوله: "يا بني هو الذي يفر من مدينة إلى مدينة، ومن قُلّةٍ إلى قلّة، ومن بلد إلى بلد، ومن بر إلى بحر، ومن بحر إلى بر، حتى يسلم، وأنى له السلامة مع هذه النيران التي قد طالت بالشرق والغرب، وأتت على الحرث والنسل، فقدمت كل أفوه، وأسكتت كل ناطق، وحيرت كل لبيب، وأشرقت كل شارب، وأمَرَّتْ كل طاعم؛ وإن الفكر في هذا الأمر لمختلس للعقل، وكارث للنفس، ومحرق للكبد."[22]

فكان لوقع هذه الصورة التقريبية التي نقلها التوحيدي في خطاب قصدي لمعاني عطفية متتالية أثر بالغ في نفس الوزير الذي بادره بعد الفراغ بقوله:"والله إنه لكذلك، وقد نال مني هذا الكلام وكبر عليَّ هذا الخطب والله المستعان"[23]. فلما دمعت عين الوزير ورق فؤاده استكملت الصورة الاستدلالية والبيانية جوانبها بالشاهد النبوي الثالث الذي جبر به خاطر الوزير في معاني معطوفة بقوله: "روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: "حرِّمت النار على عين بكت من خشية الله، وحرِّمت النار

على عين سهرت في سبيل الله، وحرمت النار على عين غضَّت عن محارم الله".

2-القياس والتعليل: وهي مناسبة حاول التوحيدي أن يستعملها في خطاب العطف، معتمدا على المقارنات في الأوصاف المعطوفة التي تجعل أسلوبه يمحص المعاني في ربطها بالعلل، مع مقارنة الأشباه والنظائر، وتمييز الفروق المحتملة في الاصطلاحات المتداولة. وكأنه في هذه المناسبة يسعى إلى النفاذ إلى شيء مبهم وغامض، أو التطرق إلى ما له علاقة بالاستنباط كما هو في علمي الفلسفة وأصول الفقه. ومن نماذج ما نلحظه في أسلوبه لهذه المناسبة ما نقله بقوله: "..هذا النعت من قولي: إن الشريعة إلاهية، والفلسفة بشرية، أعني أن تلك بالوحي، وهذه بالعقل، أن تلك موثوق بها ومطمأن إليها، وهذه مشكوك فيها مضطرب عليها"[24].

فقد علل بخطاب العطف المعاني التي يظهر من خلالها توقف أحد الجزءين على تمييز الجزء الآخر، وهذا الأمر احتاج منه – أيضاً- إلى الوقوف على بيان الأشباه الجامعة بين مفهومي الشريعة والفلسفة، لذلك ينقل في قوله : "وقال أيضا: إنما جمعنا بين الفلسفة والشريعة لأن الفلسفة معترفة بالشريعة، وإن كانت الشريعة جاحدة لها؛ وإنما جمعنا – أيضاً – بينهما لأن الشريعة عامة، والفلسفة خاصة، والعامة قوامها بالخاصة، كما أن الخاصة تمامها بالعامة، وهما متطابقان إحداهما على الأخرى، لأنها كالظِّهارة التي لابد لها من البطانة، وكالبطانة التي لابد لها من الظِّهارة"[25].

وهذا المنحى في بيان الأشباه والفوارق، نجده – أيضاً – في تمييزه بين العلم والمال اللذين أمتع بخصوصياتهما في معاني معطوفة ومسبوكة من أجل المؤانسة. "فالعلم مدبِّر، والمال مدبَّر، والعلم نفسي، والمال جسدي، والعلم أكثر خصوصية بالإنسان من المال، وآفات صاحب المال كثيرة وسريعة، لأنك لاترى عالما سُرق علمه وترك فقيرا منه؛ وقد رأيت جماعة سُرقت أموالهم ونهبت وأُخذت، وبقي أصحابها محتاجين لا حيلة لهم؛ والعلم يزكو على الإنفاق، ويصحب صاحبه على الإملاق؛ ويهدي إلى القناعة، ويُسبل الستر على الفاقة، وما هكذا المال."[26]

ومن مظاهر التعليل بخطاب العطف في موضوع الإمتاع والمؤانسة، ما نلمسه من تعلق الألفاظ بـ"المعنى التناسقي" الذي يفضي إلى مجموعة من النتائج التي يوردها معللة حسب مدارج البيان الذي تقتضيه نتيجة كل لفظة في مستواها التراتبي. "..وقِلة الهيبة رافعة للحشمة، وارتفاع الحشمة باعث على الوثبة، والوثبة غير مأمونة من الهلكة،...وما أكثر خجل الواثق، وما أقل حزم الوامق، وما أقل يقظة المائق"[27]. وهو نموذج من الأمثلة التي وردت في معاني العطف التي يظهر من خطابها المستويات التراتبية التي تحدد درجات كل من: الهيبة والحشمة والوثبة، حسب مستوياتها التصاعدية أو التنازلية. وهذا المعطى له أبعاد نظرية في

الدراسات اللسانية التداولية المعاصرة. ففي المثال السابق فإن الأجزاء المعطوفة مرتبة حسب المعطى الآتي: (أ ب ج د) :

(أ): قلة الحشمة ، (ب): قلة الهيبة، (ج):باعث الوتبة، (د): (النتيجة : الهلاك) فقد لزم عن كل قول ما يقع تحته، وتفضي كلها إلى المدلول؛ وهو النتيجة التي قصدها في أعلى السلم وهي (الهلاك). ففي التعبير عن مستويات العطف التي اعتمدها، لجأ إلى الترتيب التصاعدي في السلم؛ حيث إن الدليل الذي يعلو الآخر يكون هو الأقوى دلالة من الذي هو تحته، وفي قاعدة كل سلم، نجد ثلاثة أطراف في الخطاب تم التمييز بينهما، بواسطة معاني العطف المستعملة. وقد أخذت مسألة مراتب الحجاج باعتبارها ظاهرة لغوية، صبغة خاصة مع انبعاث الدراسات اللسانية ومباحث فلسفة اللغة[28]، حيث تميزت بدراسة وظائف ومراتب الخطاب من خلال الألفاظ الدالة على معان تقبل التدرج في اتجاه واحد. ومن الذين اهتموا بهذه الدراسة الإناسي الأمريكي سابيير إدوار SAPIR[29] وكذلك الفيلسوف الأمريكي تشارلز كارتون CARTON[30] والفرنسي أوزفالد ديكرو DUCROT[31] وكذلك صاحبه أسكومبرASCONBRE[32]. واللساني المنطقي جيل فوكونيي FAUCONNIER[33]. فقد حاول ديكرو في هذه النظرية التي بدأ تشكيلها في نموذج (1973)، ثم تابعها في نموذج (1980)، أن يدرس مجموعة من معطيات هذه النظرية الحجاجية انطلاقا من ظاهرة النفي، ودور قوانين الخطاب في معالجة ظواهر(SCALAIRES) للصورة التي طورت مع FAUCONNIER. والتي تشير إلى أن الجملتين (أ) و(ب) تنتميان إلى حقل استدلالي حجاجي متشابه يعرف بالملفوظ (د) عندما يعتبر المتكلم أن (أ) و(ب) براهين لصالح (د)[34].

ونستخلص من هذه المعطيات في قصدية خطاب العطف؛ أن مفهوم الحقول الحجاجية مرتبط بالنتيجة من جهة، وبالمتكلم من جهة أخرى. فعندما ينتمي معنى جملتين أو أكثر إلى الحقل الاستدلالي الحجاجي نفسه يعني ذلك؛ أنهما يسعيان إلى نتيجة واحدة ويمثلان أيضًا اختيار المتكلم؛ حيث يختار منهما الدليل الأنسب. وهو مستوى نظري وتطبيقي نجد معطياته واضحة في معاني العطف التي قدمها التوحيدي في مؤانسته.

3.عطف الأضداد مع توارد الأوصاف : وتمثل هذه المناسبة في خطاب معاني العطف في مؤانسة التوحيدي، النزعة الوجدانية التي كانت أشد إمتاعا للخيال، وأكثر علوقا بالنفس لتعلقها بالحس وارتباطها بالحياة والعواطف الإنسانية الخالدة التي تتجاوب أصداؤها في نفوس البشر جميعا[35]. كما لها علاقة بالمعاناة الشخصية التي أشعر بها خطابه كل قارئ أو أنيس، وكل متأمل في الأمثال المضروبة والمعاني المستورة، التي تحكي عنت الزمان والرجال، كما تحكي تبرحه بطول

الغربة، وشظف العيش، وكلب الزمان، وعجف المال، وجفاء الأهل وسوء الحال[36]. وهذه الصورة نجدها متميزة في الخطاب القصدي في النثر العربي، وذلك أنها تحتاج إلى قوة التعبير في رصد المعاني وتتبع مواقعها في نفس الآخر، "فلم يكتب في النثر العربي بعد أبي حيان ما هو أسهل وأقوى وأشد تعبيرا عن شخصية صاحبه مما كتب أبوحيان"[37]. وتأخذ المعاني المعطوفة في التعبير عن الأضداد عند التوحيدي عدة مواقف منها:

أ-عطف أسماء الصفات المتناقضة: وقد ضمن فيها مجموعة من المعاني المكتنزة في عبارات وجيزة يربطها عطف متلاحق في أوصاف متواردة: "وقد تقرر بالحكمة الباحثة عن الإنسان وطرائق ما به وفيه أن أحواله مختلفة، أعني أن كل ما يدور عليه ويحور إليه مقابل بالضد أو شبيه بالضد كالحياة والموت، والنوم واليقظة، والحسن والقبيح، والصواب والخطأ، والخير والشر، والرجاء والخوف، والعدل والجور، والشجاعة والجبن، والسخاء والبخل، والحلم والسفه، والطيش والوقار، والعلم والجهل، والمعرفة والنكرة، والعقل والحمق،... والمدح والذم ...ولعل هذه الصفات بلا آخر ولا انقطاع"[38]. فهذا النوع من الخطاب في العطف، لايخفي خصوبة المنحى الوجداني الذي عبر عنه التوحيدي في مواقف مختلفة تثير أبعادا نظرية لفلسفة أخلاقية ملحوظة. إنه الاهتمام بقضايا النفس والعقل، والزمان والمكان، والعالمين العلوي والسفلي، والخليقة والمعاد، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والصداقة والصديق...، وقد استعان التوحيدي بخطاب العطف في بيان مراتب الأخلاق بما اطمأن إليه وجدانه من المعاني المعطوفة التي رأى فيها تحديدا مناسباً لإدراك مفاهيمها وبيان مراتبها "على أن مراتب هذه الأخلاق مختلفة، فيبعد أن يعمها حد واحد، وإنما اختلفت منازلها لأنها تارة تصفو بقوة النفس الناطقة، وتارة تكدر بالقوتين الأخريين، ولبعضهما حِدّة بالزيادة، ولبعضها كلّة بالنقص، فلم يكن التحديد يفصل كل ذلك.."[39] ، ولعلنا ندرك هذه المراتب الخلقية في أضداد بعض المصطلحات المستعملة كالحرارة، والبرودة، والرطوبة واليبوسة، التي وضح من خلال مراتبها بمعاني العطف جملة من الأوصاف الخلقية المتواردة:

- الإنسان إذا غلبت عليه الحرارة يكون: شجاعاً نزالا ملتهبا، سريع الحركة والغضب قليل الحقد، زكي الخاطر، حسن الإدراك.
- إذا غلبت عليه البرودة يكون: بليدا، غليظ الطباع، ثقيل الروح.
- إذا غلبت عليه الرطوبة يكون: لين الجانب، سمح النفس، سهل التقبل كثير النسيان.
- إذا غلبت عليه اليبوسة يكون: صابرا، ثابت الرأي، صعب القبول يضبط ويحتد،

ويمسك ويبخل... وفي هذا بدائع لاتكاد تنتهي وعجائب لاتنقضي.[40]

ب- عطف الأفعال المتناقضة: وهي مجموعة من العبارات المعطوفة التي ينتظم فيها تناقض الزمن بتناقض الصفات التي يحملها، خصوصا وأن أغلبها يحمل الزمن الماضي لأن صاحبها في حال إمتاع ومؤانسة، تعتمد في أغلب الأحيان المنحى الحكائي والسردي. "..أنه لما فقد الملك السعيد -رضي الله عنه- بالأمس حدث هذا كله، فإنه كان قد زمَّ وخطم، وجبر وحطم، وأسا وجرح، ومنع ومنح، وأورد وأصدر، وأظهر وستر، وسهَّل ووعَّر، ووعد وتوَعَّد، وأنحس وأسعد"[41]. والذي يهتم بسيرة التوحيدي يجد أن توارد الأضداد له تعلق بنفسيته اتجاه الآخر، وذلك أن وقع عباراته يشير إلى مصدر الإخفاقات التي تعرض لها الأديب كما هو الشأن عند المنعوتين بالشؤم في التراث الأدبي.

ولعل المتلقي الممثل في شخص ابن عباد في علاقته بالتوحيدي له شأن في خطاب أضداد معاني عطفه، وما يقصده من أوصاف. وهذا الحضور نلمس أبعاده في تفكير الرجل وتصوره لذاته التي ينعتها بالاعتدال في الأحكام والاتزان في كل حال. وهو الأمر الذي يبرر به النعوت القدحية التي أوردها في أضداد عطفه، وكأنه من نقاد الأخلاق وجهابذة الأحوال يقول:"إني رجل مظلوم من جهته، وعاتب عليه في معاملتي، وشديد الغيظ لحرماني، وإن وصفتُه أرْبَيْتُ منتصفا، وانتصفت منه مسرفا، فلو كنت معتدل الحال بين الرضا والغضب، أو عاريا منهما جملة، كان الوصف أصدق، والصدق به أخلق؛ على أني عملت رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن العميد أودعتها نَفَسي الغزير، ولفظي الطويل والقصير"[42].

فلاشك أن اللفظ الطويل والقصير الذي أشار إليه التوحيدي في خطاب العطف في نهاية هذا النص، يشير إلى انسباك مواهبه الأسلوبية في التعبير الطويل والقصير. كما أن معاني العطف التي استعملها في بيان المناسبات المختلفة، قد تأتي تارة في عطف قصير بعبارات وجيزة واضحة، وقد تأتي أيضا في عطف طويل يكلف القارئ والسامع ملاحقة المعاني التي يروم الاستئناس بها. وفي الحالتين؛ تصاغ الأفكار تارة في حكم شعرية، أو أمثال نثرية مضروبة تزيد الكلام إمتاعا، والحجة إقناعا.

4. نقد الأخلاق وتتبع الأحوال: وهي مناسبة في خطاب العطف نفذ التوحيدي من خلالها إلى ربط موضوع المؤانسة بالأعلام الذين استشهد بهم، فذكر أحوالهم ونقد أخلاقهم في ظواهر مختلفة نلمس تجلياتها، فيما استعمله من معاني عطفية متنوعة تظهر التجربة الطويلة في مخالطة الرجال، وكثرة التقلب في الأمصار، والتوسط في المجامع، واستماع فنون الأقوال. وهنا نجد السمة الغالبة في هذا النوع من العطف ادعاء صاحبه للحكمة واليقظة والمعرفة والعلم، حيث يكون مرة ناصحا

صادقا، وتارة مؤنبا قادحا. وفي الحالتين نفسهما يكون التبرير عن حكمة وبصيرة "قال الوزير: ما البصيرة؟ قلت: لحظ النفس الأمور. قال: فما الحكمة؟ قلت: بلوغ القاصية من ذلك اللحظ. قال: فما التجربة؟ قلت: كمال النفس بلحاظ مالها. قال: هذا حسن"[43].

فالأخلاق في منظور التوحيدي؛ مجموعة من المعاني المتلاحقة التي يعطف بعضها على بعض إما مدحا أوذما. ولاغرابة إن كانت مثارا للاستغراب وطول النظر؛ "ما أعجب أمر العرب، تأمر بالحلم مرة، والكظم والصبر مرة، وتحث بعد ذلك على الانتصاف والثأر، وتذم السفه وقمع العدو، وهكذا شأنها في جميع الأخلاق...وليس في جميع الأخلاق شيء يحسن في كل زمان وفي كل مكان، ومع كل إنسان، بل لكل ذلك وقت وحين وأوان"[44]. ولا عجب أن يلاحظ منه ابن العميد تمكنه في هذا الجانب، ومعرفته بأوصاف الرجال، وما يحمله كلامه من دقة المعاني المعطوفة، التي تعبر عن التبصر بمظاهر النقد الأخلاقي. ولهذا ألح عليه في مؤانسته أن يذكر له من كل واحد ما لاح لعينه، وتجلى لبصيرته، وصار له بصورة في نفسه. وقد انصاع التوحيدي لهذا الأمر وقبل فقال:"فإني أخدم بما عندي، وأبلغ فيه أقصى جهدي" . فذكر مجموعة من الأوصاف الخلقية لمجموعة من الأعلام كأبي سليمان المنطقي، وابن الخمار، وأبي بكر القومسي، وأبي علي بن السمح، وأحمد بن محمد مسكويه الخازن، ونظيف النفس الرومي، ويحيى بن عدي، وعيسى بن علي الجراح. وكلهم من رجالات القرن الهجري الرابع ، وقد رتب أسماءهم في ميزان النقد الأخلاقي حسب الأفضال التي رسمها بمعاني عطفه التي ذكر منها:"أما شيخنا أبو سليمان فإنه أدقهم نظرا، وأقعرهم غوصا، وأصفاهم فكرا، وأظفرهم بالدرر، وأوقفهم على الغرر؛ مع تقطع في العبارة، ولُكنة ناشئة في العجمة وقلة نظر في الكتب، وفرط استبداد بالخاطر، وحسن استنباط للعويص، وجرأة على تفسير الرمز، وبخل بما عنده من هذا الكنز"[45].

وحينما فرغ التوحيدي من خطابه في معاني العطف الموصوفة لكل رجل من هؤلاء، اقتنع الوزير بمؤانسته فقال له: "ماقصرت في وصف هذه الطائفة، وتقريب البغية التي كانت داخلة في نفسي منهم."[46] وهو دليل على مبعث الطمأنينة التي يحملها خطاب العطف في النقد الأخلاقي عند التوحيدي فيما تضمنه من أوصاف مميزة للأعلام قبل أن يؤنس بعلومهم.

فإذا كان أصحاب السير، وأهل الجرح والتعديل في علوم الحديث يعتدون بهذا المنهج في الضبط والاتقان، في نقل الرواية الصحيحة انطلاقا من المعرفة الشخصية بروائها، فإن التوحيدي تحرى في خطاب العطف هذا المبدأ، وتحرج من الغمز أو اللمز لأحد من الذين وضعهم في ميزان عطفه. لذلك نجده يشير لهذا

المبدأ الأخلاقي بقوله:" سمعت أشياء، ولست أحب أن أسم نفسي بنقل الحديث وإعادة الأحوال فأكون غامزا وساعيا ومفسدا."[47] إلا أن أنيسه ابن العميد لم يترك المعاني العطفية لأبي حيان تقف عند الأخلاق الفاضلة فحسب، بل كان دافعا ومشجعا إلى إباحة ذكر الأوصاف القدحية التي يجد معانيها أجود في الاستئناس، وأليق بالنصح في بيان الأحوال والرشد إليها. وفي هذا الجانب، نجده ينقل عنه توسله برقة الراغب في سماع الأوصاف المجروحة بقوله : "معاذ الله من هذا، إنما تدل على رشد وخير، وتُضِلّ عن غيّ وسُوء، وهذا يلزم كل من آثر الصلاح الخاص والعام لنفسه وللناس، واعتقد الشفقة، وحث على قبول النصيحة؛ والنبي (صلى الله عليه وسلم) قد سمع مثل هذا وسأل عنه، وكذلك الخلفاء بعده، وكل أحد محتاج إلى معرفة الأحوال إذا رجع إلى مرتبة عالية أو محطوطة."[48] فكان هذا عونا للتوحيدي على ذكر الأعلام الذين انتقد أخلاقهم وكشف مواطن القدح فيهم، عكس ماقدمه للفريق الأول. ومن هؤلاء: ابن شاهويه، وأبو سعيد بهرام بن أزدشير، وابن مكيخا، وابن الطاهر، وابن برمويه، وابن عبدان، وكلهم كانوا من أهل السلطان. ومما وصفهم به في ثنايا عطفه:"أما ابن شاهويه فشيخ إزراء، وصاحب محرقة، وكذب ظاهر، كثير الإبهام، شديد التمويه، لايرجع إلى ود صادق، ولا إلى عقد صحيح وعهد محفوظ؛ وإنما كان الماضي يقربه لغرض كان له فيه من جهة هؤلاء المخربين القرامطة، وكان أيضًا مذموم الهيئة، فكان لا ينبس إلا بما يقويه ويحرس حاله، واليوم هو رخي اللَبَب، جاذب لكل سبب، وليس هناك كفاية ولا صيانة، ولا ديانة ولا مروءة؛ وبعد فهو شؤوم نكد، ثقيل الروح، شديد البهت، قوله الإفساد وعادته تأجيل المَهنَأ، والشماتة بالعائر، والتشفي من المنكوب"[49].

فالناظر في الآلة الواصفة للقصد في خطاب العطف الذي استعمله التوحيدي يدرك أنه قصد الوصول إلى أسرار الإنسان وبدائع أخلاقه التي لاتكاد تنتهي، وعجائبها التي لاتكاد تنقضي. ومن الغرائب التي قد توقف المتأمل في تركيبة عطفه في الأوصاف القدحية تلاحق النهي، والاستدراك المتتالي للكلمات التي يتوسطها المد الثقيل (صيانة–ديانة–مروءة–شؤوم–روح..) وهي كلمات يفهم من خلالها الدلالات التغليبية لجانب العيوب على الصفات الحميدة. وفي هذا الجانب نلمس النزعة الجاحظية التي أثرت في خطاب العطف لدى أبي حيان من خلال المعنى والمبنى، والوضوح والصفاء، والدقة والطرافة، والبعد عن التكلف المصطنع، وكل ذلك في لغة استثمر التوحيدي "الفرج التي في كلماتها، والفضاء الذي بين حروفها، والمسافة التي بين مخارجها، والمعادلة التي في أمثلتها، والمساواة التي لاتجحد في أبنيتها.."[50]

خاتمة:

لا أستطيع ختم هذا البحث الذي تداعت خواطره بتداعي الأبعاد المعرفية المتداخلة في القصد في أسلوب العطف لدى أبي حيان التوحيدي ، والتي أشرت إلى بعضها من خلال موضوع "الإمتاع والمؤانسة". فقد جاء أسلوب الكتاب المقسم في الزمن إلى ليال، ثم في الأغراض اللغوية إلى حديث وحوار، أشبه بكتاب ألف ليلة وليلة، وهو إشارة إلى دور قصدية الخطاب في المسامرات في الحياة العربية الشعبية بكل طبقاتها. فهو الأثر الكبير الذي أغدق الفكر في الأدب العربي بالأندلس عامة، وفي آثار التوحيدي خصوصا. ولعل ما لمسته من نتائج وإشارات في موضوع القصد في العطف، ينعكس على المناسبات المختلفة، لما يعبر عنه من خفايا مستورة في وجدان الأديب العربي، فإن هذه الظاهرة في فكر التوحيدي قد حققت الأوجه المقصودة من المعاني المعطوفة، التي أدرجها السياق والبيان في مناسبات تدعو إلى التأمل والاستنباط.

ولا أجدني في هذا البحث إلا بارا بجانب من جوانب الكشف عن القَسَم التوحيدي الذي قال فيه:"قد والله نفثت فيه كل ما كان في نفسي من جد وهزل، وغث وسمين، وشاحب ونضير، وفكاهة وطيب، وأدب واحتجاج، واعتذار واعتلال واستدلال، وأشياء من طريف الممالحة"[51].

مراجع البحث:

- الإمتاع والمؤانسة: لأبي حيان التوحيدي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، 1997م.
- البصائر والذخائر : لأبي حيان التوحيدي، بتحقيق إبراهيم الكيلانى، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء بدمشق 1964.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: لآدم متز، ترجمة أبوريدة، القاهرة، 1941.
- اللسان والميزان لـ: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998.
- شرح قطر الندى وبل الصدى: لابن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1988م.
- رسائل أبي حيان التوحيدي تحقيق ونشر، إبراهيم الكيلاني، دار طلاس للترجمة والنشر.
- كتاب الصناعتين: لأبي هلال العسكري الطبعة الأولى عيسى البابي الحلبي 1371 – 1952.
- اللمع في العربية: لابن جني أبو الفتح عثمان ، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1985.
- المفصل: للزمخشري جار الله أبو القاسم، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت– لبنان، 1323هـ،
- مفتاح العلوم: للسكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن علي، دار الكتب.
- معجم الأدباء : لياقوت الرومي، القاهرة، 1936.
- العلمية، بيروت -لبنان، 1987.

ANSCOMBRE, J.C, « Même le roi de France est sage. Un essai de description sémantique », in *Communications*, Paris,1973,no 20, 40 - 83

-DUCROT, O, *Le Dire et le Dit*, Paris Minuit, 1984.

-DUCROT, O, *Les Echelles argumentatifs*, Paris, Minuit, 1980.

-MOECHLER,J., *Argumentation et conversation, Eléments pour une analyse pragmatique du discour*s, Paris, Hatier, 1985.

الهوامش:

[1]– مفتاح العلوم، للسكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1987م، ص.249.
[2]–شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، 1988م، ص. 324.
[3]–اللمع في العربية لابن جني ، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1985م، ص. 148.
[4]–انظر المفصل للزمخشري، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت– لبنان، 1323هـ، ص. 122–123.
[5]–الإمتاع والمؤانسة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1997م، 10/1.
[6]–نفسه، 115/1.
[7]–نفسه، 216/2.
[8]–مفتاح العلوم، ص.253.
[9]– الإمتاع والمؤانسة 88/1.
[10]–نفسه، ص.87/1.
[11]–نفسه، ص. 91/1
[12]–نفسه، 93/1.
[13]–البصائر والذخائر، للتوحيدي، 151/1.
[14]– مفتاح العلوم للسكاكي، ص.436.
[15]–الإمتاع، 252/2.
[16]–الصناعتين، ص.109.
[17]–يرجع إلى الإمتاع، 252/2–253.
[18]–نفسه، 146/1.
[19]–نفسه،174/2.
[20]-MOECHLER, *Argumentation et conversation, Eléments pour une analyse pragmatique du discour*s, Paris, Hatier, 1985, p 58.

[21]–الإمتاع، 213/2.
[22]–نفسه، 212/2
[23]–نفسه، 212/2.
[24]–نفسه، 174/2.
[25]–نفسه، 168/2.
[26]–نفسه، 192/2.
[27]–نفسه، 176/2.
[28]–اللسان والميزان لـــ:طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998م، ص. 273– 274.
[29]– ينظر له، "التدرج : دراسة في التداوليات".
[30]–ينظر له "في البنية العامة للوصف المعرفي للمعاني المبلغة باللغة الإنجليزية".
[31]–ينظرله "مراتب الحجاج" و "العوامل الحجاجية والقصد الحجاجي".
[32]–ينظر له "حتى ملك فرنسا أصلع" ، "كانت ذات مرة أميرة فيها من الحسن مثلما فيها من اللطف، 1و 2".
[33]–ينظر، المراتب التداولية والبنية المنطقية، الإستقطاب ومبدأ السلم، "ملاحظة حول الظواهر السلمية".
[34] - DUCROT, *Les Echelles argumentatifs*, Paris, Minuit, 1980, p 17

[35]–ينظر، رسائل أبي حيان التوحيدي تحقيق ونشر، إبراهيم الكيلاني، دار طـــلاس للترجمـــة والنشـــر، ص.59.
[36]–ينظر، معجم الأدباء لياقوت الرومي، القاهرة، 1936، 38/15.
[37]–الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، لآدم متز، ترجمة أبوريدة، القاهرة، 1941، 416/1.
[38]– الإمتاع والمؤانسة، 101/1.
[39]–انفسه، 111/1.
[40]–نفسه، 114/1.
[41]–نفسه، 237/2.
[42]–نفسه، 45/1.
[43]–نفسه، 183/2.
[44]–نفسه، 350/3.
[45]–نفسه، 31/1.
[46]–نفسه، 34/1.
[47]–نفسه، 37/1.
[48]–نفسه، 38/1.
[49]–نفسه، 38/1.
[50]–نفسه، 61/1.
[51]–نفسه، 129/2.